

تذكار انتقال الجامعة

منشور الانتقال من مصر • كتاب وداع وكتاب شكر • قصيدتان

نشرنا هنا بضع صفحات خصوصية في شأن انتقال الجامعة من الاسكندرية الى نيويورك • ونحن نعتذر الى حضرات القراء عن نشرها ولكننا رأيناها عبارة عن تذكار لهذا الانتقال يُحفظ في صفحات الجامعة

المنشور

قبل خروجنا من مصر (ونرجو ان لا يكون كخروج الاسرائيليين منها) وزعنا بين قرائنا المصريين الكرام منشوراً نقتطف منه ما يلي —

سبب نوم الجامعة السنة الماضية ❦ « ولكن قبل ذكرنا سبب هذا الانتقال لا بدّ ان يطلّبا مشتركوها بسبب نومها هذا النوم الطويل في السنة الماضية . فنحن نرجو منهم ان يعفونا من ذكر هذا السبب لان ذكره يؤلمنا ويؤلم غيرنا • يؤلمنا لانه يذكرنا تعطيل الاشغال وخسارة الوقت والمال بالانتظار واستهداف الجامعة لاستياء قرائها ومريديها وسوء ظنهم بها • ويؤلم غيرنا لان الكلام في ذلك يجرّ الى الكلام في مسائل خصوصية في جملتها مسائل عائلية لا علاقة لها بالمسائل العمومية خصوصاً اذا كان فيها ما يسوء اناساً نكره اساءتهم وان اساءوا الينا • والجامعة ليس من عاداتها ان تطرح المسائل الخصوصية مطرح المسائل العمومية لتجعلها منها • كما انه ليس من شأنها التذمر والشكوى مما اصابها فانه متى وقع الانسان في حبال كهذه الحبال ولم يحسن التملص والتفلت منها دون ان يترك ريشه فيها فليس له ان يلوم احداً غير نفسه لان سلامة النية والثقة ليست عذراً كافياً له اذ هي مما يجب ان يصحب كما يقولون اهل الاديرة والصوامع لا اهل الاشغال والمنافع • ولذلك لا نحاول تبرئة أنفسنا من ذنب القصور في حق الجامعة وحق قرائها في السنة الماضية ونحمل هذا الذنب وحدنا دون ان نحمل احداً شيئاً منه او نعطي أنفسنا حق الشكوى من احده • اما خسارة الوقت والمال وتعطيل الاشغال فعلى الله التعويض في كل حال »

﴿ مسرّة وكآبة ﴾ وبعد ان ذكرنا اسباب انتقال الجامعة الى نيويورك قلنا ما حريفته « هذا ما اردنا بسطه هنا اطلاقاً لمشتركي الجامعة في مصر على السبب الذي اوجب فراقنا وتطميناً لم عن مستقبل الجامعة . ونحن نكتب هنا كلمة (الفراق) ويتنازعنا عاملان : عامل مسرّة وعامل كآبة

« اما الكآبة فهي لتركي بلادنا الشرقية العزيزة التي نشأت فيها اخص منها بالذكر سوريا ومصر — سوريا التي رأيت فيها احسن ايام صباي . ومصر التي رأيت فيها احسن ايام شبابي . ولكن مما يخفف هذه الكآبة عندي عزمي على ابقاء الصلات بين « الجامعة » ومشتركيها من اهل الفضل والادب في مصر وسوريا كما كانت حين كانت ادارتها في مصر . ومن اجل هذا ابقيت لها ادارة في القطر المصري فكأن مركز « الجامعة » في مصر لم يتغير لان ادارتها فيها ما زالت ادارتها . وجميع مشتركيها ومراسليها في مصر يمكنهم مراسلتها ويرسل اليهم الرد على رسائلهم ويجابون الى طلباتهم بعد انقضاء يوم من وصولها . فلا يكون ثمت من فرق بين الماضي والمستقبل سوى ان الجامعة كانت تطبع في « الاسكندرية » فاصبحت تطبع في « نيويورك » وان كان هناك صعوبة او ألم فيها في جانب صاحب الجامعة الذي رحل عن بلاد يحبها وفارق بني وطنه الذين لقي من اهل الفضل والادب فيهم فوق ما يستحق من العناية والوداد

« هذا عامل الكآبة . اما عامل المسرّة فهو لانتقال صاحب الجامعة من وسط صغير الى وسط كبير . فاننا في الشرق في سوريا ومصر وغيرها انما نحن في بلاد صغيرة ضعيفة لم تبلغ المدنية فيها بعد مبلغاً تستحق معه ان تُتخذ استاذاً لاهل العلم والادب . ولذلك نحن مضطرون على الدوام الى تحدّي الاوروبيين والنظر الى اثارهم العلمية والادبية والاجتماعية نظراً التليذ الى آثار استاذة . فالجامعة يسرّها ان تذهب بنفسها الى وسط المدنية الراقية وتتعرف من منبع النهر العظيم هناك بدل ان تنتظر وصول مياهه الجارية الى هنا . فان نيويورك لا تقلها اليوم عاصمة من عواصم العالم المتمدّن غير لندن . فهي ثانية عواصم الدنيا . ومستقبلها سيكون في قول بعضهم اعظم مستقبل لاعظم مدينة في العالم

« لقد اقننا في سوريا عدة سنوات رقبنا فيها احوال بلاد شرقية تحكم نفسها بنفسها (ان صح ان يقال هذا) فاخبرنا ما يؤثّر الضعف والعسف والاهمال في احوال البلاد والعباد من خمود المحم وتدلي الام . ثم انتقلنا الى مصر وشاهدنا فيها تلك المدنية الشرقية الضعيفة المهملة المهملة تنفض عنها غبار الضعف والعسف والاهمال وانكسل وتتردى رداء المدنية

الغرية رداء النشاط والعدل والامن والعمل . وقد اخبرنا في مصر هذا الاخلال بين « الشرقي والغربي » تفرجه يد غربية ورأينا آثاره في الاصلاح والفساد في الخير والشرفاذا هي عظيمة في الامرين . الا ان عظمة الاصلاح هذه لم يستفد منها اهل البلاد ربع ما استفاد منها الاجانب . ولذلك كان نصيب اهل البلاد من شرم المدينة الجديدة اوفر من نصيبهم من غيرها . والويل كل الويل للامة التي تختل فيها الموازنة بين الخير والشر الى هذا الحد — فبعد اخبارنا آثار مدينة « شرقية مخضة » في سوريا وآثار مدينة « شرقية غربية » في مصر يسرنا ان نختبر حالة ثالثة هي خير الحالات . ونعني حالة مدينة راقية قائمة بذاتها تسن شرائعها لنفسها بنفسها وتطبقها على حاجاتها . وفي ظل هذه الشرائع الحرة السهلة العادلة تعمل في العلم والصناعة والتجارة والزراعة والسياسة اعمالاً تحسدها عليها سائر الامم حتى اوروبا نفسها : فمعيشة مجلة عربية « كالجامعة » في جمهورية الولايات المتحدة بين كلياتها ومبانيها وجمعياتها ومتاحفها ومصانعها ومزارعها ومجالاتها وجرائدها لما يوجب لها المسرة والارتياح لانه سيؤثر عليها انفع تأثير بما تدرسه وتشره من آثار ذلك الوسط العظيم

المعاجرون والجامعة ﴿ ﴾ « وما عدا هذا فهاك سبب آخر يوجب لها المسرة أكثر من السبب الذي تقدم . وهو ارتياحها الى الظهور بين اخواننا المهاجرين في اميركا الشمالية والجنوبية نخص منهم مهاجري الولايات المتحدة الذين نستودعهم الجامعة كما يستودع الكريم الكريم اكرم شيء عنده . ولولا ما تحققناه من سرور اخواننا المهاجرين في الولايات المتحدة بانتقال الجامعة اليهم وابلاغهم هذا السرور الينا بكل طرق الابلاغ لما نهضت بنا المهمة الى قطع الاوقيانوس اليهم . والجامعة تعطيهم عهداً على نفسها انها لا تالو جهداً في خدمتهم هناك الخدمة التي يرتاحون اليها ويرون فائدة فيها اسوة برصيفاتها التي تنشر في اميركا الشمالية والجنوبية

« على ان سرورنا من تشييط المهاجرين الى اميركا للجامعة ليس بمحدث العهد ولا نحن نقول ما نقوله هنا ترفلاً اليهم فان تشييطهم لها يبدأ من عدة سنوات . ولما قامت القيامة على الجامعة منذ سنتين بسبب المناظرة التي وقعت بشأن « ابن رشد وفلسفته » مع العلامة المغفور له الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية السابق قلنا ذات يوم لمن كان يشبط عزماً عن اتمام هذه المناظرة ما خلاصته : هب ابن مصر وسوريا وتونس والجزائر والهند وايران أفقت في وجه الجامعة ولم يبق بلد مفتوحاً في وجهها غير اميركا وحدها فان مشتركها في اميركا يكفون للقيام بنفقات صدورها نخص منهم مشتركى البرازيل والولايات

المتحدة . فان مشتركها في هذين القطرين يبلغون نحو ٥٠٠ مشترك يجمع منهم ما يكفي طبع المجلة . ويزيد . وقد قدّرت جريدة الصواب في ريو جانيرو مشتركى الجامعة في البرازيل بثلاثمائة مشترك حولهم الوف من القراء وتقديرها هذا قريب من الحقيقة . ولسنا نذكر ما اقترحه على الجامعة منذ سنوات اخوانا المهاجرون في البرازيل بواسطة وكيلنا في سان باولو من اهداءهم اليها مطبعة تامة الادوات بمبلغ ٤٠٠ جنيه تجمع منهم على سبيل التذكّر بمناسبة المناظرة في « ابن رشد وفلسفته » ولا الحمية الخارقة العادة التي اظهرها مشتركونا الكرام هناك في تنشيط المجلة ومساعدتها وشرب بعضهم سرها « نخبها » في القهوات والحانات وجعلها موضوع حديثهم حتى لدى الشعب الغير المتعلم . فان ذكر هذه الامور لا يليق بمجلة كالجامعة تعرف عجزها وضعفها وكونها لا تزال في اول نشأتها فضلاً عن انه يزيد التبعة التي علينا في اهلنا مجلة نزلت لدى الجمهور هذه المنزلة . ولكننا ذكرنا ما تقدم للدلالة على ما بين المهاجرين والجامعة من صلات الوداد والعواطف . ومنذ ٣ سنوات قام بين ادارة الجامعة ومصلحة البريد المصري خلاف صغير بشأن الاجزاء التي ترسل الى اميركا . فلما رأى مدير البوسطة سعادتو سابا باشا عدد هذه الاجزاء قال لنا مستغرباً « أ الى هذا الحد بلغ اقبال المهاجرين على العلم والادب » وليس اصدار خمسمائة نسخة من مجلة الى قطر بعيد كاميركا مما يحق لتلك المجلة ان تفتخر به فان خمسمائة مشترك ليست شيئاً يذكر في عمر مجلة . ولكننا ذكرنا هذا استطراداً الى القول بان الجامعة لقيت هذا الاقبال من اخواننا المهاجرين وهي بعيدة عنهم الوف اميال فكيف بها اذا اصبحت « مجلّتهم » وبانت تصدر بينهم وتستمد قوتها منهم وتشعر بحاجاتهم وتنطق بلسانهم . لا ريب ان اعتقادنا هذا الاعتقاد هو سبب من اهم الاسباب التي اقنعتنا بالانتقال الى الاقطار الاميركية . وفي يقيننا ان ظننا لا يخيب لان مئات الوف المهاجرين الذين يقومون باكثر من خمس عشرة جريدة عربية تنشر في اميركا الجنوبية والشمالية يسرّهم على ما نظن ان يكون بينهم مجلة « كالجامعة » تساعد رصيفاتها هناك في الخدمة النافعة

الى الملتقى ﴿﴾ « والآن نقول لقرائنا في مصر والشام وباقي الاقطار الشرقية التي تصل اليها الجامعة « الى الملتقى قريباً » فان القارئ الكريم يقرأ هذا المنشور ونحن على اجنحة البخار بين السماء والماء نقصد العالم الجديد . وفي اقرب وقت ستصلهم الجامعة في حلتها الجديدة وحالتها الجديدة عائدة بشوق وحنين الى الشرق الذي كانت تصدر عنه لقد ضحينا في سبيل الجامعة حتى الان كل شيء . فقد صرفنا عشر سنوات في الاستعداد

لها و٦ سنوات في الاشتغال بها فانفقنا عليها من المال والوقت والتعب ما لو انفقنا نصفه في اي عمل كان لغاد علينا بالوف الاموال . وحسب القارىء ان يعلم ان كتاباً واحداً من كتب الجامعة ككتاب " ابن رشد " انفقنا على طبعه في اربعة آلاف نسخة ٨٥ جنيهاً والان نقد كله . وكذلك " اوروشليم الجديدة " واني رأيت في بعض الليالي الفجر يطلع عليّ وانا وراء مائدة العمل اسمع زقزقة العصافير بعد راحتها في الليل دون ان احسدها على راحتها لانني كنت ملتذاً بتبني مسروراً بنتيجته . ولسنا نجعل ان الضحايا التي قدمناها للجامعة في السنوات الماضية والقوى التي انفقناها فيها اعظم كثيراً من النتيجة التي ترجى منها . وان الدنيا لا تخرب اذا ابطلتها قطعياً . ولكننا رأينا من الخرق في الرأي ترك صناعة صرفنا كل العمر في درسها واخبارها للشروع في صناعة جديدة لا سيما واننا كنا راضين كل الرضى عن صناعتنا مسرورين بنتيجتها قبل ان تركنا الضرر بثقة عمياء يقع علينا . والضحية الجديدة التي اقدمها الان " للجامعة " فوق الضحايا القديمة هي تركي الاهل والوطن والخلان والابتعاد عن بلادنا العزيزة . ولكنني اظن ان هذا البعد سيكون وقتياً . لان اقصى امانى رجل باخلاق مضرة بصاحبها احياناً كاخلاقي هي ان يجمع من عمله في حياته شيئاً يجعل منه لنفسه دخلاً صغيراً ليعيش به في آخر عمره في الخلاء والفضاء بعزل عن عدوان الكبار وغدر الصغار . ولست اجد « انا الشرقي قلباً ونفساً » مكاناً لهذا الامر افضل من جبال لبنان او اطراف السودان حيث الانسان يستطيع ان يعيش بهدوء وبساطة وصحة في النفس والبدن معيشة الفلاحة والزراعة التي هي ائتم له وللتناس الذين حوله من كل المجالات والكتب والاوراق . — ولذلك اقول الان لبلادنا مصر والشام « الى الملتقى » ولا اقول لها « الوداع »

كتاب وداع وكتاب شكر (١)

الكتاب الاول

حضرة الرصيف الفاضل

نشرت اليوم بين قراء " الجامعة " في مصر وخارج مصر كتاباً ذكرتُ لهم فيه سبب انتقال الجامعة الى نيويورك وقد بعثتُ بنسخة من هذا المنشور اليكم لتفضلوا بالاشارة اليه

(١) الكتاب الاول كتبه صاحب الجامعة الى صحافة مصر قبل سفره والكتاب

الثاني الى صحافة نيويورك بعد وصوله

في جريدتكم الغراء لكي يقف عليه من لم يصل ذلك المنشور اليه من قراء الجامعة
وانني افارق مصر باسف شديد لفراقها لانها الوطن الشقيق الذي صرفت فيه احسن
ايام شبابي كما قلت في المنشور ولقيت فيه من عناية اهل الادب والفضل وودادهم فوق ما
يستحقه رجل مثلي . وسيصلكم كتابي هذا وانا على اجنحة البخار بين الساء والماء قاصداً
قلب مدينة الولايات المتحدة وثانية عواصم العالم . ولكن مفاخر مدينة الولايات المتحدة مها
عظمت وجلت لا يمكنها ان تنسيني جمال الوطن الشرقي وسداجنه والامانة له لانني على
قول المتنبى

خالقت الوفا لو رجعت الى الصبي لفارقت شبيبي موجع القلب باكيا
فارجوكم ان تفضلوا بنشر هذا الكتاب للرصفاء والاصدقاء والقراء الذين لم اقض
واجب وداعهم قبل سفري فراراً من زيادة الم الفراق عندي وهو التحية الاخيرة التي اخطبها
لحضراتهم تحت سماء مصر العزيزة التي لا انسها وان بعدت الدار وشط المزار
هذا وانني ارجو ان تشرفوني بكل خدمة تقتضيها مصالح جريدتكم هناك لانني كصهافي
نشأ في مصر ولم يرض عليا اكثر رصفائه فيها بالمساعدة والتنشيط يسرتني ويشرفني ان
اعبر نفسي ممثلاً للصحافة المصرية في اميركا لدى مئات الالوف من اخواننا المهاجرين
ورصفاءنا هناك

وتفضلوا بقبول جزيل التحيات والاكرام

الكتاب الثاني

نيويورك في ١٩ حزيران سنة ١٩٠٦

حضرة الرصيف الفاضل

لم انتظر صدور الجامعة لاشكر حضرتكم على ما تفضلتم به علي في جريدتكم الغراء من
عبارات الترحيب والتنشيط قبل وصولي الى نيويورك وبعده . فانا اشكر لجنابكم الان شكر
رصيف يعجز عن ايفائكم حق فضلكم واسأل الله ان يقدرننا جميعاً على الخدمة النافعة في
صناعتنا الشاقة

اما شكري للجالية السورية على اختلاف طوائفها في اميركا خصوصاً في الولايات المتحدة
وعلى الاخص في نيويورك فان قلبي ولساني عاجزان عن الاعراب عنه . وحقاً ان رجلاً
ضعيفاً مثلي لم يعمل بعد في حياته شيئاً يذكر لا يستحق كل هذه العناية من اخواننا في
دار هجرتهم . ولكني احمل منهم هذه العناية التي اخجلتني في بعض الاحيان لتجاوزها الحد

الذي كنت انتظره على محمل التنشيط والتشجيع مضافاً اليها الشعور الذي يشعر به الغريب حين استقبله الغريب

اجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب قريب

فانا اقول لحضراتهم الان بلسان صحيفتكم الغراء قولاً خارجاً من صميم القلب انني ممتن لهم اعظم امتنان شاكر ما اظروه لهذا العاجز من الغيرة والمروءة مما لم يعتد اهل العلم والادب مثله في بلاد الشرق = ولا عجب ف نحن تحت سماء اميركا ام الفضل . وهذه العناية منهم كانت اعظم منشط لي قبل ابتدائي العمل عندهم اذ صرت اشعر الان ان عزمي زادت اضعافاً . وهذا منهم اعظم فضل علي اعترف لهم به جهراً
فارجو ان تفضلوا بنشر كتابي هذا كشكر عمومي لحضراتهم وشهادة افتخار بها صار اليه المهاجرون بعيداً عن سوريا ومصر من الشعور الراقى والتقدم ادياً ومادياً جرياً مع حالة الوسط الذي يعيشون فيه

وتفضلوا بقبول جزيل التحيات والسلام

غزل المتقدمين والمتأخرين

وداع — ولقاء

وقبل نشر القصيدتين التاليتين اللتين نشرتهما مرآة الغرب الغراء لا بد لنا من القول ان الفاضلين اللذين نظما هذه الايات لم يقصدا بها سوى مجاملة صديق تحفيقاً لوحشة السفر ومرارة الغربة عنده . وقد قيل اعذب الشعر اكذبه . وان عصرنا يستجدي فيه الاغنياء بالشعر حتى اصفرهم واحقرهم غير كثير عليه ان يجامل فيه اهل العلم والادب مجاملةً فلما تعودوها . زد على ذلك انك اذا وقفت على شعر المتقدمين من فطاحل شعراء العرب ورأيت فيه تغزلهم بالرفقتين (وسقط اللوا) والعقيق وغيرها خيل لك انها اما كن عظيمة وجنات فيحاء مع انك لو شاهدتها عن كذب لما رأيتها الا رمالاً وخجراً واراضاً حقيرة تحرقها الشمس بياض النهار . ومن هذا القبيل هذا الشعر الجميل . الا اننا حفظناه كما نثر لسفرنا على سبيل التذكار

احتى الوداع ابى ان يكونا	وحتى الفراق نراه فنونا
اما يتقي ربه راحل	اذاب القلوب وافنى العيونا
دعاه الفراق فكان الجواب	وراح يهيج الاسى والحسنا

فيا لك يوماً شديد البلاء ويا لك خطباً ابى ان يهونا
 ففى الشرق مالك فارقه وكنا نراك بهذا ضنينا
 وقت تصانع فيه الخطوب مقام اريب يسوس الشؤنا
 تسبغ الحوادث حلوا ومرّا وترضى الليالى يضاً وجونا
 فاي المكاره اعيا عليك واي الخطوب قضى ان تبينا
 وماذا لها الشرق والساكنيه نحوّلت رحلك في الاخرينا
 واطلعت شمسك في غيره وقد كنت تطلعها فيه حيناً
 لعهدى به مطلعاً للشمس تضي الظلام وتجلو الدجونا
 فكيف انجلي عنه ذاك الضياء واعيا بنوه على المرشديننا
 لقد دان من قبل بالاثاث اخاه فما باله اليوم ديننا
 كفى برحيلك عازراً عليه وشجواً لقوم به يعقلونا
 تركت وجوههم شاجبات واشقيت انفسهم اجمعينا
 وهجت النهي فاغدت طائرات مطار اللواتي فقدن الوكونا
 وغادرت كل فؤاد يعافى مصاباً دخيلاً وداء دينا
 فيا لك جرماً جزيئنا به وكان الجزاء على المجرميننا
 شقيننا بهم فسئمنا الحياة فاي شقاء اذا قد لقينا
 يرون المحامد موتاً زوأمًا وطيب الاحاديث امرأميننا
 اليك اعنذارى ففى الشرق عنهم ومثلك من يعذر الجاهليننا
 عليك سلام صديق طوى على صدق ودك قلباً اميننا
 يصون لك العهد مهما اضاع مضيع الحوادث عهداً مصونا
 دمنهور في ١ ايار سنة ١٩٠٦ (احمد محرم)

رجلٌ عمره ثلاثون عاماً كاملٌ جسمه طويل القامة
 اسمر اللون ذو محيا جميل كل وقت ترى عليه ابتسامه
 واسع الجبهة التي يستدلُّ المرء منها على العلى والشهامه
 لو تسنى جماله لفتاقر فعلى مثلها نقوم القيامة !
 لو تأملت فيه كنت ترى في وجهه للذكاء الف علامه

لم يكن يقتضي الكثير من الوقت لندعوه عالمًا علامة
 ماهر في الحديث سامعه بصغي طويلًا ولا يمل كلامه
 لا انتقام لا حدة عنده لا غيبة لا تدمر لا ملامه
 جامع من مروءة ووفاء من اباة وعفة واستقامة

نحن ندري بانه ليس يرتاح الى المدح وهو ليس مرامه
 فلقد قال انه واقف في خدمة الشعب سعيه واهتمامه
 وعرفنا من المجلة في مصر رجاء وشانه ومقامه
 ولئن نام مع مجلته ليس مطيلاً نوامها ونوامه
 فبعبد القليل ننظره في عالم الصحف ناشرًا اعلامه
 ملكًا يامر الكلام فينقاد الى عرشه بطاطي هامة
 وسنلقاه للصحافة والسلم ونشر العلوم اقوى دعامة

وصباح فيه نزاحت الصحب فلاقاه كلهم بالكرامة
 وهجمنا عليه!! يلثمه ها ذا وهاذا يلقى عليه سلامة
 وبه قد تمسك الكل حتى اوشك الصحب ان يروموا اقتسامه!
 فعلى الرحب ايها الضيف ان الكل يدعوك بطيب الاقامة
 جئتنا بالسلام فالحمد لله لداعي وصولكم بالسلامة
 اسعد رستم